ما بعد التطبيع المجانى مع (إسرائيل)

بقلم: محمد المنشاوي

خلال زياراتهم للبيت الأبيض للقاء الرئيس دونالد ترامب، عبر بعض القادة العرب عن دعمهم لرؤية ترامب للسلام فى الشرق الأوسط. ولا يُعرف إذا ما كان ترامب قد أطلعهم على ما يتم وصفه بـ"صفقة القرن".

محمد بن سلمان، ولى العهد السعودى وخلال زيارته الطويلة للولايات المتحدة أخبر شخصيات بارزة من يهود أمريكا أن أمام الفلسطينيين خيارين، أولهما القبول بعملية السلام ضمن طرح ترامب المعروف باسم «صفقة القرن»، أو أن يلزموا الصمت ويتوقفوا عن الشكوى.

وقبل ذلك بشهور وخلال زيارته للبيت الأبيض، أكد الرئيس المصرى عبدالفتاح السيسى أيضا على دعمه لترامب فى سعيه لحل قضية القرن. وقال السيسى خلال لقائه مع ترامب فى البيت الأبيض «سنقف بشدة بجانب الحلول التى ستطرح لحل قضية القرن فى صفقة القرن اللى أنا متأكد أن الرئيس الأمريكى سيتمكن من إنجازها»، ورد ترامب حينذاك بالقول «بالتأكيد سنفعلها».

وبالفعل بدأ ترامب بخطوات عملية تجاه تحقيق خطته، وذلك عندما أعلن فى ديسمبر الماضى نقل بلاده لسفارتها فى إسرائيل من تل أبيب للقدس، وهو بالفعل ما حدث رسميا يوم الاثنين الماضى. فى ذات اليوم، قُتل 60 فلسطينيا من المتظاهرين العُزل. فماذا فعل العرب:

- هل ردت الدول العربية بعنف أو بغضب على نقل السفارة؟ لا.

- هل تم توجيه تنديد شديد اللهجة؟ لا.

- هل تم استدعاء السفراء العرب من واشنطن؟ لا.

- هل تم سحب سفراء الدول التى تجمعها علاقات دبلوماسية بإسرائيل؟ لا.

- هل قطعت الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع واشنطن؟ لا.

وبدلا عن هذا وذاك قبل الحكام العرب رؤية ترامب بإزاحة قضية القدس من على طاولة المفاوضات لكونها معرقلة للتقدم فيه! واختار ترامب إزاحة قضية القدس بإعطائها لإسرائيل كاملة.

منذ أكثر من عشرين عاما، وبالتحديد عام 1995 اعترف الكونغرس الأمريكى بالقدس عاصمة موحدة وتاريخية لإسرائيل، إلا أن رؤساء أمريكا منذ ذلك الحين لم يجرءوا على تنفيذ هذا الأمر.

وتحت مسمى «المصلحة القومية الأمريكية» سُمح للرئيس الأمريكى بتجميد تنفيذ قرار الكونغرس، وبالفعل قام الرئيس الديمقراطى بيل كلينتون (1995 ــ 2001)، والجمهورى جورج بوش (2001 ــ 2009) والديمقراطى باراك أوباما (2009 ــ 2017) كما استخدمها ترامب الجمهورى مرتين قبل أن يقدم على خطوة نقل السفارة للقدس.

* * *

إذن، فما الجديد، ما الذى سمح لترامب باتخاذ مثل هذه الخطوة التصعيدية التى لم يقدم عليها أى من أسلافه؟ والتى لم يكن هناك أى حاجة أو ضغط للقيام بها؟

أعتقد أن الإجابة هى غياب أى تكلفة أو ثمن تدفعه واشنطن من جانب الدول العربية والإسلامية. فقد نجحت جهود تهيئة منطقة الشرق الأوسط خلال الشهور الأخيرة كى تصبح القضية الفلسطينية بما فيها مستقبل مدينة القدس غير ذات أهمية للحكام العرب.

وتم إقناع النخب العربية الحاكمة أن الخطر الأهم والوحيد فى هذه الفترة من التاريخ العربى هو إيران، وأن إسرائيل يمكنها الوقوف مع الجانب العربى. ولم يكن بالمفاجأة ابتهاج العديد من الدول العربية وعلى رأسها السعودية والإمارات بانسحاب واشنطن من الاتفاق النووى مع إيران.

شجع ترامب على اتخاذ خطوته هرولة الدول العربية للتطبيع العلنى والسرى بالمجان مع إسرائيل بعدما تخلت عن أى مطالب فى المقابل. أدرك ترامب أن الحكام العرب سيقبلون الاعتراف الأمريكى بأن القدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة لها، ولن يكون لهم أى ردود ذات قيمة.

جاء ترامب من خارج منظومة السياسة التقليدية، وهو ما سهل من تخلصه من قيود السياسة الأمريكية فى الشأن الداخلى والخارجى أيضا.

وأظهرت هوية مستشارى ترامب لشؤون الصراع العربى الإسرائيلى نية واضحة للدخول بعلاقات واشنطن بإسرائيل منعطفا جديدا يتخطى كل ما سبقه بالدفع تجاه تحالف خاص لا مثيل له بين العرب والإسرائيليين. ويستخدم ترامب لتحقيق هذا الهدف فريق من أكثر اليهود تشددا فى معتقداتهم الدينية والسياسية.

ديفيد فريدمان، السفير الحالى لدى إسرائيل، جيسون جرينبلات، رئيس فريق التفاوض الأمريكى، أما أهم مستشارى ترامب، وهو صهره جاريد كوشنر، وهو يهودى متشدد آخر، فقد التقى عددا من الحكام العرب منهم محمد بن سلمان ومحمد بن زايد، وأقنعهم برؤية الرئيس لحل الصراع على حساب الفلسطينيين.

* * *

لم يعد سرا تكرار لقاء حكام ومسئولين عرب مع نظراء لهم من إسرائيل حتى مع عدم وجود علاقات دبلوماسية بين دولهم وإسرائيل. ولم يعد سرا وجود جدية لدى بعض الحكام العرب بضرورة استغلال الإدارة الأمريكية الجديدة لحالة الضعف العربى غير المسبوق، والانقسام والتشتت الفلسطينى من أجل إنهاء قضية فلسطين.

ويستغل هؤلاء الحكام حقيقة أن العرب، نظما وشعوبا، مشغولون بدرجة كبيرة بشئونهم الداخلية الضيقة سواء كانت تلك تبعات الربيع العربى، أو تبعات ظهور وتمدد التنظيمات الإرهابية المختلفة، هو ما سمح بتلاشى الاهتمام الشعبى والرسمى بالشأن الفلسطينى أو حتى بمستقبل مدينة القدس.

إلا أن الشعوب العربية المغلوبة على أمرها لن تقبل هذا الطرح وإن أراد لها حكامها ذلك.

يُطبع العرب دون مقابل، ولا أتخيل حجم التنازلات العربية بعدما تنازلوا عمليا عن أبسط الحقوق الفلسطينية، وعن حقوقهم فى القدس ذاتها.

فى نفس الوقت تنشغل واشنطن ومن قبلها تل أبيب ومن ورائهم دول عربية فى الحديث عن تفاصيل مختلفة تبتعد بالصراع عن أصله سواء بالعدو الجديد الإيرانى أو استبعاد الحديث عن جوهر الصراع، ألا وهو «الاحتلال».

يؤمن هذا التيار بأنه لا يجب الانتظار لحل قضية الصراع الفلسطينى الإسرائيلى كى تُحل بقية قضايا وصراعات الشرق الأوسط. ويعتقدون أن أصل الصراع وقلب المشكلة هو عدم الاعتراف الفلسطينى بإسرائيل كدولة يهودية مستقلة.

ويرون أن عملية السلام تجرى منذ كامب ديفيد (أربعة عقود) بدون نجاح ويبدو أن الهدف أصبح هو التسليم الكامل لإسرائيل، والقبول بعدم وجود صراع معها من الأساسي.